التاريخ المحلي ودوره في المناهج الفكرية والتاريخية

خلال ق19 "المجتمع الراشدي أنموذجا"

Local history and its role in intellectual and historical curricula during the 19 century-Er-rachidi society as a model'

بكاري عبد القادر♦

جامعة ابن خلدون –تيارت Bekk1960@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2022/02/20 تاريخ القبول: 2022/06/07 تاريخ النشر: 2022/06/15

الملخص باللغة العربية: يكتسي التاريخ المحلي بالجزائر أهمية قصوى، وذلك لما توفره الوثائق والمصادر المحلية المحدودة في مجاليها الزماني والمكاني، من إمكانية التحري حول الأحداث والوقائع التي عاشتها المناطق والجهات المختلفة من البلاد، والكشف عن حقيقة مجرياتها، والتعمق في دراسة مختلف التطورات السياسية والعسكرية والاجتماعية التي عرفتها هذه المناطق. غير أن الدراسات التاريخية والفكرية بمناهجها المتعلقة بتاريخ المجتمع الراشدي خلال القرن19م تواجهها العديد من الصعوبات والعوائق، بل ما يدعو للأسى أن من يريد مثلا البحث في تاريخ بعض الشخصيات أو العائلات أو القبائل، أو في ميدان من الميادين المختلفة (السياسي، الاقتصادي، الاجتماعي، الثقافي...) يجد نفسه في كثير من الأحيان مضطرا إلى اللجوء إلى المصادر الأجنبية الفرنسية على وجه الخصوص، ومن ذلك ما كتبه بعض الرحالة والقادة العسكريون الفرنسيون عن قبائل الحشم على سبيل المثال في المجلة الإفريقية.

الكلمات المفتاحية: التاريخ المحلي؛ المناهج؛ الوطن الراشدي؛ قبائل الحشم؛ القرن19م.

Abstract: Algeria's local history is of a great importance, as documents and local sources that me limited in their temporal, and spatial dimains provide the possibility of investigating the events and facts that to bery experienced for the various regions of the country, revealing the reality of their activities and studying in

♦ المؤلف المرسل

depth the study of various political, military, social developments they have experienced.

However, historical and intellectual studies with their approaches related to the history of Er-rachidi society during the 19th century face many difficulties and obstacles, but what is saddening is that those who for example want to research the history of certain personalities, families, tribes, or in a field of different fields(political, economic, social, cultural) often find themselves obliged to resort to French foreign sources in particular, such as that written by some French travelers and military commanders on Hachem tribes for example in the African magazine.

Keywords: local history; curriculum; er-rachidi; hachem tribes; 19 century.

مقدمة:

أصبح الاهتمام بالتاريخ المحلي من أهم الدراسات التاريخية في الوقت الحاضر، وعلى اعتبار أن منطقة معسكر(أم العساكر) سجلت حضورها القوي عبر العصور التاريخية، خاصة وأن الله حباها بموقع جغرافي مميز، وتربة طيبة، وثروات طبيعية متنوعة، فقد شكلت موطنا لاستقرار العديد من التجمعات السكانية، وقد برز دورها العلمي والفكري منذ القرن10هـ(16م) حيث أصبحت مركز إشعاع ثقافي، وإقليم العلم والصلاح، وحاضرة الدين والفلاح، استقطبت العائلات الشريفة، والعلماء والفقهاء المولعين بالعلم والمعرفة من مناطق مختلفة الاتجاهات كفاس بعد سقوط دولة الأدارسةعام923م، ومن صقلية بعد سقوطها عام1072م، ومن قرطبة وغرناطة بعد سقوط الأندلس عام1492م.

اكتسى موضوع النسب عند ساكنة الوطن الراشدي خلال القرن19م أهمية بالغة، إذ أنه شكل جزء هاما من التاريخ الثقافي الحضاري للمنطقة، وعُد أساس الكتابة التاريخية، لأن لفهم التركيبة الاجتماعية يستلزم فهم تراتيبية الأنساب، هذه المقاربة التي كانت مظهرا من مظاهر الحياة الاجتماعية، جعلتنا نقف على أهم ما انحز في مجال الكتابة التاريخية(كتاب: القول الأعم في بيان أنساب قبائل الحشم للطيب بن المختار الغريسي) لتحديد التوجهات الفكرية، والتعرف على الخصائص المنهجية للتاريخ المحلي بالوطن الراشدي في تلك الفترة.

فهذا المقال يأتي مساهمة منا لتسليط الضوء على هذا الجانب الهام، الحساس والشائك في نفس الوقت، بتقديم لمؤلف رفع مسألة النسب والحسب فوق كل اعتبار، وذلك بطرح إشكالية تمحورت حول دور البيئة الفكرية والاجتماعية والدينية في بلورة مرجعية النسب الشريف لبعض القبائل دون غيرها، مبينين الخلفيات الثقافية والفكرية لأصحاب هذه الكتابات، ومركزين على الجوانب المنهجية في طرح القضايا، كل ذلك بفرضيات تحيلنا على ما تعرضت له المؤلفات التاريخية لتلك الفترة، وذلك بتبني منهجية تشمل التعريف بالكتاب وبصاحبه، واستعراض استقرائي لما ورد في مضامينه.

1- أصول ومعالم الوطن الراشدي عبر التاريخ:

إن الوطن الراشدي[1] أو ما يطلق عليه اليوم مدينة معسكر وما جاورها، منطقة قديمة لها تاريخ لا يستهان به، فهي وليدة آلاف السنين أو يزيد، تعد قاعدة ومركز الوطن الراشدي، ذكرها المؤرخون والرحالة كثيرا، ومنهم ابن حوقل الذي قال عنها:"المعسكر قرية عظيمة لها انهار وأشجار وفواكه"[2]، وذكرها الإدريسي أيضا بقوله: "والمعسكر قرية عظيمة لها أنهار وثمار، ومنها إلى جبل فرحان مارا مع أسفله إلى قرية عين الصفاصف، وبها فواكه كثيرة وزروع ونعم دارة"[3] . وفي القرن الثامن الميلادي اجتاحت قبائل مغراوة البربرية المنطقة، كما لجأت إليها قبائل بني زروال، ومع بداية القرن العاشر الميلادي انتزعتها قبائل بني يفرن من مغراوة، ويستخلص من النص الذي أورده المراكشي عن البكري الوجود التاريخي القديم لمدينة معسكر، حيث جاء في النص:"وبين مدينة

1- كان الوطن الراشدي يضم منطقة واسعة امتدت من المرتفعات الجبلية بقلعة بني راشد شمالا إلى السهول الجنوبية بضواحي البنيان جنوبا، ومن كرسوط غربا إلى جبل المناور شرقا، وهي اليوم تطلق على مدينة معسكر وما جاورها فقط، قيل أن نسبتها ترجع لراشد بن يحي بن علي بن حمود الذي سكن منطقة غريس، بينما أخوه راشد انتقل إلى منطقة هوارة وتزوج منهم امرأة ومنه أصول بني راشد، قال الشيخ عبد الرحمن الجيلالي أنها منسوبة إلى مؤسسها راشد بن المرشد القرشي مولى إدريس الأول دفين زرهون بالمغرب الأقصى في القرن الثاني الهجري، وقال آخرون أن بناءها تم على يد يغمراسن من بني زيان أمراء تلمسان في القرن الأول الهجري حيث اتخذها قاعدة عسكرية لمقاومة أعداءه بني توجين، واستعان عليهم بقبيلة الحشم. ينظر:الحسن الوزان،وصف إفريقيا،تر:محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ج2، ط2، لبنان، 1983، ص:26.

2-أبو القاسم بن حوقل، صورة الأرض، منشورات مكتبة دار الحياة (د ت)، بيروت، ص:88.

3-الشريف الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، تحقيق: محمد حاج صديق، مركز المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص:103.

تلمسان وتيهرت يسكن بنو مرين وجميع قبائل زناتة منهم توجين ومغراوة وبنو راشد وورنيد وغيرهم[4].

وبنفس التسمية، ذكرها المؤرخون في كتاباتهم القديمة، فقد تعرض لذكرها كلا من غزال(Gsell) ومارسي(Marcais) أثناء حديثهم عن أدوات الفترة القديمة[5]. ففي العهد الروماني تحولت إلى قلعة عسكرية تحمل اسم كاسترانوفا(Castra-Nova) أي المعسكر الجديد، ضمن سلسلة المدن الدفاعية التي أقامها الرومان حماية لمراكزهم الحيوية بالشمال، بينما ذكرها الرحالة شاو(shaw) باسمها الأصلي وهو فيكتوريا(Victoria)[6]، كما ذكرها المؤرخون الفرنسيون الذين عرفوا المنطقة في الفترة الحديثة، وكتبوا عنها الكثير من النقاط التي لم يكتب عنها المؤرخون المحليون باسم" معسكر" ومنهم على سبيل المثال إيفار(Georges Yver) في كتابه"مراسلات النقيب دوما- قنصل معسكر 1837-1839م، و كريتال(Cretelle) الذي يحدد موقع مدينة معسكر وطريقها المار من معسكر ضمن الضفة اليمنى من سهل الهبرة إلى غاية فم المقطع، والذي يتشعب من جانب على مدينة أرزيو، ومن جانب آخر على مدينة مستغانم"[7]، كما يذكرها أيضا دي لومباي(De lombay ,G) بقوله:"معسكر مدينة عربية قديمة تأسست في العصر الوسيط في ظل السيطرة التركية"[8].

وعليه، يبدو أن هذه التسمية (معسكر -أم العساكر) سواء قديما أو حديثا اكتسبتها من طابعها الجبلي الحصين، ومن موقعها الجغرافي المميز، كونها نقطة عبور بين مختلف جهات الإقليم الغربي من الوطن الجزائري.

وفي مطلع القرن16م اجتاح الأسبان منطقة الوطن الراشدي، فخربوا قرية الكرط، وتوغلوا بداخل نسمط ووصلوا حتى وادي التاغية، وفي عام1517م عاود الأسبان

4ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، تحقيق: س ج كولان وليفي بروفنسال، بيروت، 1948، ص:300.

5 - Gsell(s), Marcais(g), Yver(g), histoire d'Algérie, Boivin éd, Paris, 1927, p : 02.

6 Shaw (thomas), voyage dans la régence d'Alger, traduit de l'anglais par J McCarthy ; paris, 1830, p : 250.

7 La crételle(L), études sur la province d'Oran, typographie Ve Marius olive, Marseille, 1865, p : 14.

8 -De lombay(G), En Algérie, Alger-Oran- Tlemcen, éd, Ernest Leroux , paris , 1893, p :361.

اجتياح مدينة معسكر صحبة عميلهم أبي حمو الثالث، فتمكنوا من قتل أول عامل تركي نُصِب على قلعة بني راشد وهو إسحاق بن يعقوب أخو عروج، وذلك لتشديد الضغط على ناحية بني شقران، لكن المقاومة المحلية أجبرت الأسبان على المغادرة، وإعلان سكان مدينة معسكر ولاءهم للأتراك بقيادة شيخ المنطقة أحمد بن يوسف الراشدي الذي كان قد التقى عروج قرب مدينة وهران سابقا. وبعد سقوط مدن الساحل الغربي الجزائري (وهران، مستغانم، مزغران) نقل الأتراك العثمانيون عاصمة البايلك الغربي إلى مدينة معسكر في عهد الباي مصطفى بوشلاغم بن يوسف المسراتي سنة1701م، وظلت على ذلك الحال إلى غاية فتح مدينة وهران الثاني بقيادة الباي محمد بن عثمان الكبير الذي نقل مقر العاصمة إليها عام1792م[9].

أما عن التنظيم الاجتماعي للمجتمع المعسكري خلال القرن19م فلم يختلف كثيرا عن باقي المناطق الجزائرية من جهة، وعن الصورة التي كان عليها خلال الحكم التركي ثانيا من حيث الترتيب التفاضلي والتمايز الطبقي، الذي كان أساسه امتلاك القوة العسكرية واكتساب الثروة. فالفرنسيون شكلوا الفئة الأولى في الهرم الاجتماعي مثلما كان عليه الأتراك، احتكروا الرتب العليا في جهاز الحكم، والوظيف العمومي والعسكري، وسيطروا على الحياة الاقتصادية، إلى جانب فئة اليهود[10] وبعض الأوربيين (أسبان خاصة) الذين كانوا أحسن حالا اقتصاديا واجتماعيا. فقد ظل تأثير العائلات الميسورة الكبرى قائما سواء في المدن (العائلات البرجوازية، والحرفيون الكبار) وفي الأرياف كبار ملاكي الأراضي الزراعية، على الأقل إلى غاية صدور قانون سناتوس كونسيلت(Senatus Consulte) الذي سيحدث ثورة في الأوضاع الاقتصادية وتغيير في التركيبة الاجتماعية[11].

للعلم أن الطابع الزراعي والرعوي للمجتمع الراشدي خلال القرن19م ميزه التنوع القبلي الذي وإن تَكَون من جماعات متشابهة في أصولها وأنسابها، لكنها اختلفت

9الاغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وفرنسا واسبانيا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق: يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1990، ص:219

10 - أن عدد اليهود كان ما بين 800 و900ن بمدينة معسكر Facquot) - حسب تقرير الطبيب فاكو(أواخر العهد العثماني، ولكن وبسبب معارك الأمير عبد القادر وإحراق المدينة من قبل الجنرال كلوزيل Joëlle Alouche سنة1835م، انخفض هذا العدد إلى 240ن، ليرتفع إلى 345ن سنة 1851 ينظر: Benayoun, les juifs d'Algérie : de la dhimma à la citoyenneté, éd, la découverte , paris,2006, pp :180-195. -

11 - Marcel(E), les tribus privilégiées en Algérie dans la première moitié du XIX siècle, Annales, économies, sociétés, civilisations, n°01, 21 années, paris, 1966, p : 44-58.

في مهامها وتبعيتها، ولعل الحديث هنا عن قبائل المخزن(الزمالة والدوابر)، والتي كانت القوة الاحتياطية الموضوعة تحت تصرف أوامر قادة البايلك، فقد لعبت دور متميز في منطقة معسكر عند تصديهم لثورات الطرق الدينية الدرقاوية والتيجانية خلال أواخر العهد التركي، ودور فعال عند وقوفها إلى جانب السلطة الاستعمارية الفرنسية في محاربة الأمير عبد القادر، بالإضافة إلى القبائل المستقلة التي امتنعت عن السلطة سواء منها التركية او الفرنسية وشكلت الدعامة الأساسية لمقاومة الأمير عبد القادر، معتمدة على قوتها العسكري، وعلى نفوذ سلطتها الروحية وهي قبائل الحشم التي كانت تسمى بقبائل بني راشد قبل أن تنقلب إلى منطقة غريس.[12]

2- الكتابة التاريخية ومناهجها الفكرية بالوطن الراشدي خلال القرن19م:

قبل الحديث عن واقع الكتابة التاريخية ومناهجها خلال القرن19م، تجدر الإشارة إلى إلقاء نظرة عن الحياة الثقافية والفكرية للوطن الراشدي أواخر القرن18م وخاصة فترة الباي محمد بن عثمان الكبير حيث كانت معسكر مقر عاصمة بايلك الغرب الجزائري، وفيها تبوأت الصدارة الثقافية والعلمية، باستقطاب عددا كبيرا من العلماء والفقهاء والأئمة والكتاب والشعراء. ففي المدن قامت الثقافة على المهام المنوطة بالعلماء والفقهاء الذين كانوا يؤطرون التعليم، ويتولون الوظائف القضائية والدينية كالفتوى والخطابة، أما في الأرياف، فقد اتسع نشاط شيوخ الزوايا ليشمل التربية والتعليم والإرشاد، إلى القيام بمهام الحاكم والقاضي، مما جعل منهم سلطة حقيقية تستمد شرعيتها من تعاليم الطريقة التي ينتسبون إليها[13].

ولعل من بين أهم المرافق الثقافية التي ميزت معسكر في تلك الفترة، مسجد الباي محمد بن عثمان الكبير، والمعروف عند أهالي معسكر بجامع العين البيضاء، والجامع العتيق الذي أعاد بناءه سنة1762م والمعروف بجامع سيدي حسن. بالإضافة إلى المدارس، ومن أشهرها المدرسة المحمدية التي كان لها صدى كبير في الجزائر وخارجها، والتي كانت تدرس الفقه مثل حواشي الشيوخ الزرقاني والخرشي والرماصي، وكتب النحو كشرح الشيخ المكودي، ومقامات الحريري، فضلا عن كتب التصوف والمنطق والفلك والبيان. كما كان للمكتبات دورا كبيرا في تنشيط حركة الكتابة، فقد شجع الباي محمد بن

1- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية-دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني- دور قبائل المخزن في تدعيم سلطة البايلك، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 2000، ص: 263.

2- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي(ق16-ق20م)، ج1، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص:261-.272

عثمان الطلبة والعلماء على التأليف والنسخ، وكان يجيز بسخاء كل أعمال التأليف، ويشتري الكتب بالثمن البالغ، ويستنسخ ما لم تسمح نفس مالكه ببيعه[14].

نشير للملاحظة، أن كُتاب ومُؤلفي الوطن الراشدي خلال القرن19م لم يستحدثوا منهجا خاصا بهم، فهم كسابقيهم من المؤرخين اتبعوا منهجا اعتمد على سرد الأحداث، ونقل الأخبار والروايات التاريخية، معتمدين في ذلك على مصنفات من سبقهم من الكتاب

في ظل هذه العوامل والظروف برزت مجموعة من المؤرخين، شعارهم العناية بالتاريخ والأخبار، والاهتمام بالأنساب، ازدانت بهم منطقة معسكر التي عرفت استقرار العديد من الأسر التي تدعي انتسابها للبيت النبوي الشريف. للعلم أن ظاهرة الانتساب للبيت النبوي الشريف وكثرة الدعاوي منتشرة في كامل مناطق العالم العربي والإسلامي، مما نتج عنها ظاهرة انتشار حركة التأليف والكتابة في هذا المجال بين العلماء والفقهاء، بين مؤيد ومناصر، ومثبتا لنسبه ونسب عائلته وعشيرته، ومعارض ونافيا لنسب أشخاص وقبائل. ومن بين أهم المصادر التي اعتنت بأنساب الوطن الراشدي وخاصة قبائل الحشم بغريس، كتاب القول الأعم للشيخ الطيب بن المختار الذي يعلل دوافع تأليفه لهذا الكتاب، رؤيته لبعض الدخلاء الذين أكثروا الخوض في أنساب الحشم، فأراد أن يزيل الخبط والاضطراب عن مشاهير القبائل ورؤساء الفضائل وأعيان الأشراف[15]

2-1-كتاب"القول الأعم في بيان أنساب قبائل الحشم" للشيخ الطيب بن المختار الغريسي

من المؤلفات الهامة للغاية في مجال الفكر والتاريخ، وقراءة مسارات الحركة العلمية في تقاطعاتها بالمعرفة في المجتمع الراشدي خلال القرن 19م، وقضايا النكوص ومعارك الوعي في أطوار استكمال مهامه نحو الإحياء والتجديد ونفض الغبار، كتاب الشيخ الطيب بن المختار'القول الأعم في بيان أنساب قبائل الحشم'.

فمن الواقع الاجتماعي للوطن الراشدي وفي ظل الصورة المشوهة في فهم وإدراك وتبني مبدأ النسب الشريف لدى الذاكرة المجتمعية، ظهرت دعوات بعض العلماء

1- أحمد بن هطال، رحلة محمد الكبير إلى الجنوب الصحراوي، تحقيق وتقديم: محمد بن عبد الكريم، نشر عالم الكتب، القاهرة، 1969، ص:26.
2- الطيب بن المختار، المصدر السابق، ص:329.

والمؤرخين وشيوخ الزوايا للتبصير، ونزع اللبس عن قضايا كثيرة، منها إدعاء الشرف بوصفه مادة وفعل استعمله العديد لأغراض متنوعة ومتعددة، بدت لنا أهمية قراءة المادة الفكرية والمعرفية التي تضمنها هذا الكتاب لفهم ما كان يجري من انتكاسات في الذات التاريخية الماضية بالوقوف على أهم محاوره، وآليات دراسة موضوع النسب للعديد من القبائل والعائلات، وتشابكها مع أنماط النخب والجماهير، وبالصورة الحقيقية لخطاب التاريخ والعقل ودلالاته.

أقول، يأتي هذا المؤلف من كاتب يُرسِّم لقب عائلته ضمن أشراف قبائل منطقة غريس بالوطن الراشدي في البعدين الديني والعرقي العصبي، وسط ظروف سياسية ودينية أحاطت بها لغة المنافسة والصراعات، وتسَلُّط نفوذ بعض العائلات سواء زمن السلطة العثمانية، أو حتى في بداية العهد الاستعماري لصياغة مشروع'**من هي القبائل الشريفة بالوطن الراشدي**' التي كانت تمثل قاعدة الوطن الراشدي، وهو ما أشار إليه أبي زيد عبد الرحمن بن عبد الله بن احمد في كتابه"عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشراف غريس" عندما ترجم لأخبار عشرة شخصيات،اعتبرهم الأعيان و الأشراف بمنطقة غريس خلال القرنين10و11هـ.[16]

فهو الكتاب الثالث من كتاب'مجموع النسب والحسب والفضائل والتاريخ والأدب للشيخ بلهاشمي بن بكار مفتي ديار حاضرة معسكر، والصادر عن مطبعة ابن خلدون بتلمسان سنة1961م، مشتملا على 25 صفحة(وهي عدد صفحات الكتاب الثالث فقط، بينما عدد صفحات الكتاب ككل هي459) وموزعا على مقدمة وثلاثة فصول متماسكة تارة ومتفرقة تارة أخرى، اقتضتها طبيعة التناول لقضية النسب، حيث خصص الفصل الأول' لـ ذكر أعيان غريس'، وجاء الفصل الثاني بعنوان' فيمن هو بغريس من العرب الذين ليسوا بأشراف' أما الفصل الثالث فخصص لـ' زناتة الموجودين في غريس قبل العرب'. أحاط الكاتب في هذه العناوين بالمُكوِن التاريخي والخاصية الجغرافية للتأصيل لعملية النسب على مستوى القبائل المتفاعلة مع بعضها البعض من جهة، ومع تاريخها من جهة أخرى، ووضع روابط ارتكازية جامعة للبعدين الديني والعرقي من أجل الكشف عن حقيقة الأشراف.

1- تقي الدين بوكعبر، المجموع الميسر لمدونات الأنساب والتراجم بفضاء الراشدية، دار السادة المالكية، ط1، الجزائر، 2022، ص:61.

2-2- اسمه ونسبه: تجدر الإشارة قبل الحديث عن محتويات الكتاب، إلقاء نظرة عن اسمه ونسبه وهي من الأمور الواجبة في هذه الحالات، ولعل ما يذكره الطيب بن المختار الغريسي عن نفسه في كتابه'القول الأعم في بيان انساب قبائل الحشم' يعتبر أكبر مرجع، فهو العبد الفقير إلى الله، الغني بما عما سواه، الطيب بن المختار بن الطاهر بن البشير بن محمد بن عبد القادر بن المختار الله وليه ومولاه[17]، وهو نفس التعريف الذي يثبته صاحب كتاب'حاشية رياض النزهة... الذي يقول عنه' العلامة النحرير الدراكة الشهير النسيب الحسيب، الجامع من المكارم والفضائل أوفر نصيب، الشيخ الطيب بن المختار بن الطاهر بن البشير بن محمد بن عبد القادر بن المختار ابن عم الأمير عبد القادر الجزائري المختاري[18]

يذكر أبو القاسم سعد الله أنه ولد بقرية سيدي قادة (بمنطقة غريس) قاعدة الوطن الراشدي، والتي درس فيها مبادئ العلوم وحفظ القرآن الكريم، وبزاوية القيطنة درس الفقه والحديث والسيرة على يد العلامة النحرير الحاج مصطفى بن التهامي الوزير الأول للأمير عبد القادر، والعلامة بن عبد الله سقاط، انتقل بعدها إلى مدينة تلمسان فقرأ اللغة والعروض والميزان على يد العلماء الزيانيين، ليشد الرحال بعد ذلك إلى جامع القرويين بفاس ليتضلع في العلوم النقلية والعقلية على يد الشيخ أبي عبد الله المجاوي. عاد إلى مسقط رأسه ليتولى التدريس، ونظرا لعلمه الغزير ووقاره الكبير أسندت له وظيفة القضاء ولمدة طويلة بمدينة تيغنيف، عاصر فيها الشيخ أحسن بن الشرقي المفتي والقاضي بمدينة معسكر والذي كان منافسا له في العلم والفتوى، كما كان له باع كبير في الشعر، ومن ذلك القصيدة الطويلة التي امتدح بها ابن عمه الأمير عبد القادر، وهذه القصيدة بدأها باسم هند على عادة القدماء، مدح فيها الأمير بالشرف والدين والتصوف، وأعطاه الحق في الجهاد وتحرير البلاد، والتي مطلعها:

أكل خليل لا يدوم له عهد أم انفردت في حل ما عقدت هند
أراها استحالت حالها وتنكرت معارفها والطرف عني مرتد[19]

عاش الطيب بن المختار مع الأمير بالمشرق، ورافقه في الكثير من زياراته كفرنسا وصقيلية بعد إطلاق سراح الأمير، كما كانت بينهما مراسلات في شكل اخوانيات،

1- الطيب بن المختار، القول الأعم...ص:.329

2- بلهاشمي بن بكار، حاشية راض النزهة على منظومة نسمات رياح الجنة في فضائل أهل البيت وأولياء الله وذكر الكتاب والسنة، ص:.142

3- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص:261.

مدحه أحمد فارس الشدياق، ووصفه حميدة العمالي بقوله:"العلامة النحرير، اللوذعي الشهير، خاتمة البلغاء، وواسطة عقد الأدباء السيد الطيب بن المختار"

توفي بغريس في نحو1320هـ/1902م، عن عمر ناهز الثمانين سنة[20].

من المسائل الهامة والضرورية التي ينبغي أن يشتغل بها الباحث قبل أي دراسة عما في المؤلف من محتويات، هي إثبات نسبة الكِتاب إلى مؤلفه، وفي هذه الحال لم يترك لنا الشيخ الطيب بن المختار مجالا للبحث عن ضبط عنوانه ونسبته إليه، إذ كفانا عبء النصب في البحث عنهما، فقد ذكر في الصفحة 142 من كتابه، قوله:'لما رأيت بعض الدخلاء في العربية المتطفلين على أبوابها وفصولها، المتحاملين على قواعدها وأصولها، قد أكثروا الخوض في انساب الحشم، فركب كل منهم مثنى وقال قولاً وما أفاد معنىً، أحببت أن أزيل الخبط والاضطراب عنهم على ما تدعوا الحاجة من مشاهير القبائل ورؤساء الفضائل وأعيان الأشراف، فاقتفيت أثرهم علما بما يقتضيه الحال وسميته بـ'القول الأعم في بيان أنساب قبائل الحشم' ورتبته على مقدمة وثلاثة فصول[21].

الكاتب الطيب بن المختار مثلما يلمح في مقدمته يؤمن بما لا يؤمن به ابن خلدون على سبيل المثال، فإذا كان ابن خلدون يرى أن النسب بشقيه القريب والبعيد ضروري، فهو موجب للالتحام الذي هو فائدته، فالاعتماد يجب أن يكون على ثمرة النسب لا النسب بحد ذاته، من حيث أنه الوسيلة المفضية إلى تحقيق المصلحة المشتركة الدائمة للجماعة، فالنسب أمر وهمي لا حقيقة له، ونفعه إنما في الوُصلة والالتحام، وإذا خرج عن هذا الوضوح، وصار من قبيل العلوم، ذهبت فائدته، وانتفت النعرة التي تحمل عليها العصبية، ومن هذا الاعتبار معنى قولهم النسب علم لا ينفع وجهالة لا تضر في تجاوز دائرة البعد الديني والأخلاقي للتفاعل مع سائر قضايا العصر[22].

ولأن الشرف لا يمكن أن يقف عند ممارسات معينة، وإنما هو مفهوم يتجسد في مجالات معرفية متنوعة دينية وفكرية، أخلاقية وإنسانية، مما يجعلنا نتحرى في رهان المعالجة والبحث العميق، وصلاته بواقع الأحداث المثقلة باللامعرفة والجهل لتحويله لمصدر فيض للمعنى الحقيقي في مستوى القيم المعرفية والحضارية، يذكر الطيب بن

1-محمد الأمير، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج1، المطبعة التجارية، الإسكندرية، 1993، ص: 69.

2 الطيب بن المختار، المصدر السابق، ص:329.

3- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ص:129.

المختار انتمائه إلى الأشراف بقوله:'فقد انتقل لهذا القطر الغريسي جدنا الأعلى السيد أحمد المعروف بالمختار الذي يتصل نسبه بمولانا إدريس رضي الله عنه، وقد خلفه ابنه سيدي عبد القادر المعروف برضيعته خدة، وكان احد الأئمة الراسخين والعلماء العاملين انتهت له رياسة غريس، ثم خلفه ولده سيدي أحمد المختار...ثم خلفه ولده سيدي عبد القادر وهو جدنا الأدنى الذي تجتمع فيه فروع أولاد سيدي قادة'[23].

2-3-بنية الكتاب: الكتاب مقسم إلى مقدمة وثلاثة فصول يبدأ **بتمهيد** يخصصه للبسملة والحمدلة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، والتعريف بنفسه وبنسبه، وسبب تأليفه لهذا الكتاب، واقتفاء الأثر العلمي لقبائل الحشم، وتسمية كتابه.

أما **المقدمة** فيستعرض فيها اشتقاق لفظ الحشم، فيقول عن ذلك: الحشم مأخوذة من الحِشمة(بالكسر) وهي الحياء، أو من الحُشم(محركا) وهو الغضب، والمعنيان هنا صالحان، إذ الغضب والحياء شأن أهل هذا القبيل في القديم حسبما هو مشهور من أخبارهم. ورد في القاموس: وحِشمة الرجل وحَشمه وأحشامه من يغضب له من أهل أو عبيد أو جيران، وقد يراد بالحشم مطلق الأنصار[24]

وقد فسر البوصيري في بردة المديح النبوي ذلك، وقد صارت هذه الخصائص غالبة على أهل هذا القبيل فلا ينصرف إلا إليهم، لما كان الحياء والغضب والانتصار والحشمة راسخة فيهم اختصوا بهذه التسمية دون غيرهم، وكانوا يسمون قبل ذلك ببني راشد، والذين هم بطن من بطون زناتة انتقلوا إلى غريس، وبنزولهم على أشراف المنطقة بغريس وإنحياشهم إليهم ودخولهم في أتباعهم، أطلق عليهم اسم'الأشراف'. ومعلوم أن أشراف غريس يدعون ببني راشد في ذكر آل النبي البشير، وفي غوثية الشيخ سيدي عيسى بن موسى ما يرشد لهذا، حيث قال'وفي راشد جمع وهم بنو راشد في وطن راشد'. وقد اتخذ يغمراسن قبيل الحشم جيشا له وسماهم الحشم وجعلهم حصنا حصينا بينه وبين أعدائه بني توجين أمراء تهارت، واختط لهم مدينة معسكر لبث العلوم في غريس، ومن بين أشهر الزوايا بهذه المنطقة زاوية سيدي محمد بن يحي السليماني، وزاوية سيد عبد الله الرزاق الإدريسي، وزاوية سيدي محمد المشرفي، وزاوية سيدي عبد القادر بن المختار، وزاوية سيدي عبد الرحمن المحمودي، وزاوية سيدي محمد الأعرج السليماني[25]

1- الطيب بن المختار، المصدر السابق، ص:333.

2- نفسه، ص:329.

3-بلهاشمي بن بكار، حاشية رياض النزهة...المصدر السابق، ص:35-36.

فالفصل **الأول** والذي هو بعنوان'في ذكر أشراف غريس' يبدأ بإعطاء تعليلا لكلمة الشريف ويربطها بالمرابط، فالذين ربطوا أنفسهم وحبسوها عن الشهوات ومنعوها من ارتكاب لذاتها، أطلق عليهم هذا الاسم، أو سموا كذلك من حيث أنهم يحافظون على الصلوات، فمن معاني الرباط كما في القاموس'انتظار الصلاة بعد الصلاة' وبه فسر بعضهم ورابطوا، قوله تعالى'يأيها الذين أمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا'. ثم يفند أن ليس كل مرابط شريف، بل قد يكون المرابط بربري النسب أو من مطلق العرب، ذلك أن كثيرا ممن تخلق بالآداب الحسنة واتبع السنة النبوية واشتغل بالعلم، ونال من الاحترام والتوقير وتزي بزي المرابطين وتخلق بخلقهم ولبس شعارهم، أطلق عليه'المرابط' لوجود معناه فيه ظاهرا، حتى ظن الناس انه شريف النسب، فعاملوه معاملة الأشراف. من اجل ذلك كثر ادعاء الشرف في أهل الوطن الراشدي، موضحا الصورة بقوله عليه الصلاة والسلام'من انتسب لغير أبيه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين'[26].

يتبنى الطيب بن المختار مبدأ أساس في تقوية وتحصين مبدأ النسب حينما يحدد أعيان الأشراف بغريس والذين لا شك ولا خلاف في شرفهم، ومنهم أولاد سيدي دحو ابن زرفة الذين يعتبرون من اصح القبائل نسبا وأوضحها حسبا وأعظمها في القديم جاها وأكثرها تعاطيا لله والعلوم وأولاها بتحقيق المنطوق والمفهوم، فأصلهم من بني حمود الذين كانوا ملوكا بالأندلس (صاحب الفتح)، من خصائصهم التأنق في الكلام، والفصاحة وتعاطي الشعر، والتطاول في المحافل، والتوغل في رفاهة الملبس والمركب والمأكل والمشرب. من مشاهير أئمتهم الحاج عبد القادر بن السنوسي وولده السنوسي، إلا أن الدهر أخمدهم. كما يعدد أشراف منطقة غريس وهم أولاد سيدي أعمر بن دوبة، قسم من الشرفاء السباعيين بمنطقة سوس بالمغرب الأقصى، حيث يعترف كل منهما للأخر بالقرابة والاتصال في النسب. أما من العائلات الشريفة بمنطقة غريس الذين كانت لهم الرياسة قديما أولاد ابن دوبة وأولاد البشير وأولاد محمود وأولاد أحمد بن علي، وهؤلاء يتصل نسبهم بمحمد الباقر ابن علي بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم[27].

1- نفسه، ص: 331.

2- لخضر العربي، أعيان من أشراف منطقة غريس بمعسكر من خلال كتاب عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشراف غريس"معسكر المجتمع والتاريخ"، منشورات مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، مكتبة الرشاد، الجزائر، 2014، ص:137-155.

من العائلات الشريفة أيضا التي يصنفها الطيب بن المختار ذات الحسب والنسب بغريس، عائلة المشارف التي يتصل نسبها بمولانا إدريس بالمغرب الأقصى، من أشهر علمائها شيخ الجماعة ومعتقد الجميع السيد عبد القادر بن عبد الله(صاحب كتاب بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر)، كانت له زاوية بمنطقة الكرط، وحفيده ابن عبد الله المدعو سقاط الذي كان إمام الحديث والفقه، وقاضي الدولة العثمانية ثم القادرية، كانت لهم وفادات على سلطان المغرب الأقصى مولاي عبد الرحمن بن هشام زمن الأمير عبد القادر، وقد اشتهر أن سلفهم قدم من بني سمغون، للعلم أن ان أبا راس الناصري شكك في نسب العديد من عائلات منطقة غريس، وهذا ما جعله يتعرض لانتقادات كبيرة، وردود قوية، حتى ضاق بالناس وقال فيهم"الناس داء عضال لا يتخلص منهم على كل حال، سهامهم مسمومة وخلق أكثرهم مذمومة...لا يملون من الانتقاد والخلاف..."[28].

ويختم الفصل الأول بالحديث عن نسب عائلته الذي يرجعه إلى نسب المولى إدريس،وان جدهم الأعلى السيد احمد المعروف بالمختار هو الذي انتقل إلى غريس، فكانت لهم الرياسة خاصة في عهد السيد عبد القادر بن المختار الذي تجتمع فيه فروع أولاد سيدي قادة، والذي اختص بتلقين الورد القادري في ذلك العصر بعدما اخذ الطريقة عن الشيخ عبد القادر الجيلاني يقظة لا مناما، ودرست زاويته جميع الزوايا في المنطقة، انتقل بعض ولده لبلاد بني عامر فأقاموا بها عميم فضلهم نافذا أمرهم في القرى والضواحي إلى أن مالت أنفسهم إلى الحضارة، فانتقلوا إلى قاعدة تلمسان فاستوطنوها وعقبهم بها لهذا العهد يعرفون بأولاد سيدي شايب الدراع[29].

الفصل الثاني جاء بعنوان'**فيمن هو بغريس من العرب الذين ليسوا بأشراف**، يذكر فيه أن البربر هم الذين سكنوا المنطقة قبل العرب، وكانوا يدفعون عنه الأمم الأجنبية، إلا ما ترك به إفريقش الحميري التبابعي من قبائل كتامة وصنهاجة بعدما غزى المغرب، والذين اندرجوا في البربر، فتزيوا بزيهم وتكلموا برطانتهم وخدموا لملوكهم، فلم يبقى لهم مع العرب ذكرا إلا بعودة المسلمين الفاتحين زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي وجه جيش من العرب بقيادة عقبة بن نافع الفهري إلى المغرب فدانت لهم البرابرة وساروا تبعا له.

1- عبد القادر بكاري، منهج الكتابة التاريخية عند أبي راس الناصري، شهادة الماجستير، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة معسكر، 2008، ص37.

2- الطيب بن المختار، المصدر السابق، ص: 331-343.

يتحدث أيضا عن مراحل الفتح الإسلامي للمغرب العربي في عهد معاوية، وعبد الملك بن مروان، والخليفة العباسي المنصور، إلا أن قدمت قبيلتا بنو هلال وبنو سليم المضرية أواسط المائة الخامسة، ولما اختلطوا بالبربر وشاركوهم عجميتهم فسد لسانهم المضري، واستحقوا أن يوصفوا بالعجمة، من اجل ذلك قيل فيهم'العرب المستعجمة'، كما أن البربر فسدت رطانتهم وتغيرت عجميتهم حينما اخذوا شيئا من لغة العرب، فقيل فيهم العرب العجم المستعربة، بعد ذلك صارت لغة الجميع عربية من حيث الوضع، عجمية من حيث تغير الإعراب[30].

وعليه، فإن العرب الذين هم بغريس قدم بعضهم مع عقبة بن نافع أولا، وبعضهم مع حسان بن النعمان ثانية، وبعضهم مع ابن الأشعث ثالثا، وأكثرهم مع بني هلال وسليم. وهم قسمان: قريش وغيرهم.

فقريش هم المعبر عنهم بالأجواد، وخصوا بهذا الاسم، لأن الجود وان كان من شأن العرب كلهم، فهو في قريش أرسخ، واجواد غريس كثيرون منهم: أولاد محمد بن خدة في وادي الحمام، وصدر منهم للأمير عبد القادر، وأولاد العربي بالطاغية، وأولاد التراري في فروحة، وأولاد سيدي عبد القادر بعين الدقلة، وهؤلاء كلهم يسميهم الطيب بن المختار بـ'أجواد غريس الغربي'. أما عن اجواد غريس الشرقي فمنهم قبيل المحاميد الذين ينتمون لمحمود الذي لم يضاهيه في السياسة والرياسة إلا أبو هرة، ثم جاء بعدهم دلة ابن السنوسي بن محمد الذي كان يضرب به المثل في الشجاعة والكرم والصولة[31].

الفصل الثالث جاء بعنوان'**في زناتة الموجودين في غريس قبل العرب**' فيه الحديث عن قبائل زناتة الموجودين بإقليم غريس المندرجين في قبائل الحشم والذين هم أقدم من العرب استيطانا بالمغرب، ونسب هذه القبيلة عجمي وليس بعربي، امتزج بالبربر امتزاجا كليا فلا يكاد يميز البربري عن الزناتي. ويختتم الطيب بن المختار حديثه عن مختلف قبائل منطقة غريس بقوله'إذا عرفت الأشراف على حدتهم، وقريش المعبر عنهم بالاجواد على حدتهم، وعرفت العرب الذين ليسوا بقريش، عرفت أن الزناتي والبربري من سواهم، لأن الأشياء تعرف بأضدادها، والحرف ما ليست له علامة ترك العلامة له علامة[32].

1- نفسه، ص:346.

2- الطيب بن المختار، المصدر السابق، ص:346.

3- نفسه، ص:354.

3- طبيعة الكتابة التاريخية عند الطيب بن المختار الغريسي:

إن الاهتمام المنصب في هذه الدراسة يدفعنا إلى معرفة اللغة والأسلوب والمنهج الذي اتبعه في مؤلفه، فلغته تمتاز بالسهولة والوضوح، وهي لغة مميزة، تجمع بين محتوى التاريخ ومظهر الأدب في وقت واحد، إذ امتزجت فيه الرواية بالنقل، واصطبغت الحقائق بالعاطفة. ومع إتقانه للغة العربية إلا أننا نجده يلجا إلى استعمال كلمات عربية بنطق عامي، مثل: سبنيول(ص334) والفرنسوية(ص345) وانا ابن جلا وطلاع الثنايا(351). والتزامه بخصائص لغة وأسلوب عصره، فجاءت لغته تميل إلى المحسنات اللفظية مثل السجع، يتجلى ذلك في مقدمة كتابه، قوله'الحمد لله الأول والآخر، الذي أحصى علمه الأوائل والأواخر...صاحب المقام المشهود، والحوض المورود، وعلى آله وصحابته أعلام الهدى وبحور السماحة والندى.'(ص329)، كما اعتمد على الاستعارة في لغته، قوله:'حتى لا تكاد تجد ورقة من أوراق كتبه على كثرتها واختلاف أنواعها ليس بها مشها خط يده منبها على فائدة أو حالا لبعض الإشكالات' وعلى الطباق كقوله'الأعاجم-الأعارب، الأعلى-الأدنى، الشرقي-الغربي'. وعليه يمكننا القول أن استعمال الطيب بن المختار لأسلوب المحسنات البديعية في لغته دليل على قدرته واتساع ثقافته اللغوية واطلاعه على البلاغة العربية.

كما اجتهد في تعريف بعض المصطلحات لغة واصطلاحا مع الاكتفاء بالتعريف فقط، ومن بين المصطلحات التي وقفنا عليها مثل مصطلح الحشم والتي سبق ذكرها، والمرابط الذي يحبس نفسه عن الشهوات ويمنعها من اللذات، والمحافظة على الصلوات أي انتظار الصلاة بعد الصلاة، والمشاشيل وتعني عند زناتة الخدام.

الأمانة العلمية في نقله من المصادر التي أخذ منها، واهتمامه بآراء المؤرخين والعلماء الذين اخذ عنهم، ومن خلال تتبعنا لهذا الكتاب بكثير من التمعن لموضوعه، ومع استقصائي لمختلف فصوله تبين لي أن الطيب بن المختار اعتمد في مؤلفه على جملة من المصادر المختلفة وذات أهمية تاريخية، ومن بين المصادر ما أثبته بأنه اعتمد عليه إما بذكر عنوان المصدر مثل قوله'روضة الأزهار' و'القلائد'و'فتح الرحمن على عقد الجمان'، أو بذكر صاحب المصدر قوله'الشيخ مصطفى بن المختار'، أو بذكر المؤلف وعنوان كتابه مثل قوله'مصطفى الرماصي صاحب الحاشية المشهورة على شرح التتائي' و'البوصيري في البردة'، وهناك من المصادر التي لم يثبتها لا بذكرها ولا بذكر مؤلفيها مكتفيا بالنقل عنها، وبقوله'وبه فسر بعضهم'أو قوله'حسبما حدثني به الشيخ المذكور، ومن خلال الدراسة استطعنا أن نصل إلى بعضها لوجود تقارب بين النص المنقول

والمنقول عنه، بينما أخذت الرواية الشفوية نصيبها في النقل إلى جانب المصادر في الكشف عن عد حقائق ووقائع تاريخية سواء من خلال المقابلة، أو الرواية، أو المحادثة، والأمثلة من ذلك كثيرة منها قوله'حسبما أخبرني بمضمنه من أثق به من علمائهم' وقوله'وقد خلفه ولده سيدي محمد الذي أدركناه'، وقوله'حسبما حدثني به مولانا الأمير

استهلال فقراته بعبارات متنوعة، ومعظمها بعبارة و'اعلم'، قوله:'واعلم انه ليس كل مرابط شريف' وقوله أيضا'واعلم أن هؤلاء الأشراف يعرفون الآن بالمرابطين'، وإلمامه بما تقتضيه بعض المواضع في التوضيح والإبانة بغية كشف الغموض وذلك بعبارة 'قلت'

من بين أسلوب كتابته أيضا كثرة الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وبخاصة تلك الآيات التي لها علاقة بمسائل التاريخ والأخبار، مثل قوله 'يأيها الذين امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا'، كما يستشهد بالأحاديث النبوية الشريفة ومنها قوله صلى الله عليه وسلم' من انتسب لغير أبيه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين'، وقوله صلى الله عليه وسلم'تعلموا العلم قبل أن تسودوا'. كما أكثر من الشواهد الشعرية سواء من وحيه، أو من وحي شعراء آخرين معاصرين له، من ذلك ما ذكره من قصائد مدح فيها الأمير عبد القادر(القصيدة الطويلة التي اشرنا إليها سابقا)، وقصائد مدح لأصحاب الأمير، منها قصيدة إبراهيم الرياحي مفتي تونس، وقصيدة العلامة ابن مزيان احد علماء تلمسان(ص:341)، وغوثية سيدي عيسى بن موسى التوجيني المسماة بالبدور[33]

الواقع أن الطيب بن المختار لم يستحدث ولم يكن له منهجا خاصا به، فهو كسابقيه من مؤرخي المنطقة(عبد القادر المشرفي-أبو راس الناصري على سبيل المثال) اعتمدوا على مناهج القدماء الذين كتبوا، سواء عن التاريخ العام أو التاريخ الخاص للعائلات، أو الشخصيات، أو للمناطق، حيث اعتمد على سرد الأحداث، ونقل الأخبار والروايات، معتمدا على مصنفات من سبقه من المؤرخين، كما استعمل أيضا في منهجيته نقده للأحداث والوقائع التاريخية، والإشارة إلى حادثة معينة، أو تاريخ محدد، مبرزا في

1-تعتبر هذه القصيدة من أهم المصادر التاريخية التي أشارت إلى أشراف منطقة غريس خلال القرون8و9و10 الهجري، ذكر فيها علماء وصلحاء الراشدية منوها بخصالهم وما اشتهروا به من كرامات وصفات، سماها العربي المشرفي بالقصيدة البائية، لأن ناظمها يختم أبياته بحرف الباء، وعرف ناظمها باسم صاحب البدور، بها 45بيت. مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، رقم3323، ينظر: بلهاشمي بن بكار، المرجع السابق: 358.

ذلك الدليل على الحكم، أو المقارنة بين الأحداث فيبرز رأيه فيها، بالإضافة إلى ربط المناطق بالأحداث.

الخاتمة: يعالج كتاب'القول الأعم في بيان انساب قبائل الحشم' موضوع النسب من حيث المعطيات التاريخية والأخلاقية وحتى النفسية، مع الالتفات في شتى المناسبات إلى الواقع التاريخي، فهو لا يكتفي بذكر الحدث، بل ينظر إليه من خلال مقتضيات الإطارين العام والخاص، ولذا فإذا تحدث عن النسب أو العلم أو الكرم أو الشجاعة، تعرض إلى دور هذه الخصال في المجتمع، وعلى الرغم من أن كتاب الطيب بن المختار لا يخلو من استعمال حكايات القدماء وحكمهم، فإنه يقدم للقارئ دراسة واقعية للموضوع، تتضمن عرضا شاملا للآراء التاريخية والاجتماعية للشعوب والقبائل، للأفراد والجماعات، ثم انه يعطي للجانب التاريخي الأدبي المنزلة اللائقة به في البحث، وهذا الاتجاه يكسب كتاب قول الأعم أهمية كبرى من حيث تطور الكتابة التاريخية في تاريخ الجزائر عامة، وتاريخ منطقة معسكر على وجه الخصوص.

نتائج وتقويم: تظل قيمة الكتاب في كونه يعالج قضية الشرف والنسب في افقها الواسع، من حيث تحليل المكونات وماهيتها، ووضع حلول جذرية لها، ويتبنى الكاتب من خلاله ضرورة التأكيد على المجالات الدينية والعرقية بما يتوافق مع القيم والثوابت.
– يؤكد الكاتب على كون ادعاء الشرف ينطلق من الذات، ويبدأ بالفرد ليكمل مساراته في المجتمع، وارتباطه بجهات أخرى تجعله يحدد الآلية الخاصة الملائمة لكل جانب.
– الروح العلمية الصافية للكاتب تجعله يميز بين الشرف والحسب كمبدأ حقيقي منبعث من البنيات الاعتقادية والإيمانية، وليس كردود أفعال لأشخاص أو لجهات معينة.
– تبدع الكاتب في الغوص الاستقصائي الدقيق بمجهود يؤسس فيه لرؤية صحيحة نابعة من دراسة عميقة، وباعتماد عدد هائل من الأدلة والبراهين الأصلية والفرعية.

– قدرة الكاتب في تحليل دعوات الأشراف بتناوله لعينات من الأشخاص، وتفصيل أسباب حقيقة الشريف من عدمه، مما يجعله يلامس الواقع في مقاربة تنزلت من فضاء المفاهيم الجافة إلى جوهر الظاهرة بواقعية.

– ينبه الكاتب في التعاطي مع الظاهرة(الشرف والنسب) بعدم الغفلة عن الاختلافات المرجعية، وتباين الهويات، وخصوصية المجتمع، والوقوف إزاء ذلك من منطلق القوة والإفادة منها، بشرط عدم مخالفتها مع القواعد الكلية للشريعة وكرامة الإنسان.

قائمة المراجع :

الأمير محمد، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج1، المطبعة التجارية، الإسكندرية، 1993.

بكاري عبد القادر، منهج الكتابة التاريخية عند أبي راس الناصري، مذكرة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة معسكر، 2008.

بلهاشمي بن بكار، حاشية رياض النزهة على منظومة نسمات رياح الجنة، المطبعة الخلدونية، ط1، تلمسان، 1961.

بوكعبر تقي الدين، المجموع الميسر لمدونات الأنساب والتراجم بفضاء الراشدية، دار السادة المالكية، ط1، الجزائر، 2022.

ابن حوقل أبو القاسم، صورة الأرض، منشورات مكتبة دار الحديث، بيروت، د ت.

ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ت.

سعيدوني نصر الدين، ورقات جزائرية-دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 2000.

سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي(ق16- ق20)، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، الجزائر، 1985.

الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، تحقيق: محمد حاج صديق، مركز المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.

ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: س ج كولان وليفي بروفنسال، ج1، دار الثقافة، بيروت، 1948.

العربي لخضر، أعيان من أشراف منطقة غريس بمعسكر من خلال كتاب"عقد الجمان"- معسكر المجتمع والتاريخ، منشورات مخبر الدراسات الاجتماعية والتاريخية، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، الجزائر، 2014.

الطيب بن المختار، القول الأعم في بيان أنساب قبائل الحشم،(الكتاب الثالث من كتاب:مجموع الحسب والنسب والفضائل والتاريخ والأدب)، المكتبة الخلدونية، تلمسان، 1961.

المزاري بن عودة، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وفرنسا واسبانيا إلى أواخر القرن19م، تحقيق: يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1990.

ابن هطال احمد، رحلة محمد الكبير إلى الجنوب الصحراوي، تحقيق وتقديم: محمد بن عبد الكريم، نشر عالم الكتب، القاهرة، 1969.

Benayoun, Joëlle-Alouche, les juifs d'Algérie : de la Dhimma à la citoyenneté, éd, la découverte, paris, 2006.

De lomby(g), En Algérie : Alger, Oran, Tlemcen, éd, Ernest Leroux, paris, 1893.
Gsell(s), Marcais(g), Yver(g), histoire d'Algérie, Boivin éd, paris, 1927

la crételle(l), études sur la province d'Oran, typographie Ve Marius olive, Marseille, 1865

Marcel(E), les tribus privilégiées en Algérie dans la première moitié du XIX siècle, annales, économies, sociétés civilisations, n°1, 21 années, paris, 1966.

Shaw(t), voyage dans la régence d'Alger, traduit de l'anglais par JM Carty, paris, 1830.